المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية ISSN:2170-0060
المجلد 09 العدد 03 – ديسمبر 2018 EISSN: 2602-523X
دولة القلال الإسلامية في فرنسا- التّاريخ المنسي- ص ص 176-194

دولة القلال الإسلامية في فرنسا-التّاريخ المنسي-

Islamic State of Qallal in France -The forgotten history -

د/ رزيقة بوشلقية
جامعة تيزي وزو- الجزائر
razika-dem@hotmail.fr

طالب الدكتوراه موسى المودن
جامعة عبد الملك السعدي- المغرب
moussa.elmouden49@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018/10/18	2018/12/19	2018/12/30

الملخص:

تتناول ورقتنا البحثيّة الحديث عن دولة **القلال الإسلامية** أو ما عُرف باسم **"إمارة فراكسينتوم"** في فرنسا، وكيف امتدّ الفتح الإسلامي إلى البلدان الغربية، وكيف استطاع المسلمون بسط سيطرتهم على مناطق جغرافية كبيرة، بل وأقاموا عليها دولة امتدت سنوات حكمها زهاء القرن الواحد.

الكلمات المفتاحية: دولة القلال الإسلامية؛ الفتح الإسلامي؛ البلدان الغربية؛البلدان العربية؛ المغرب.

Abstract:

Our recent research paper deals with the Islamic state of Qallal or what was known as the Principality of Fraxentum in France, how the Islamic conquest spread to Western countries, how Muslims managed to extend their control over large geographical areas, and even established a state that extended its rule for almost a century.

Key words: Islamic State of Qallal; Islamic conquest; Western countries; Arab countries; Morocco.

I.المقدمة:

لم يقف طموح المسلمين في نشر الإسلام عند حدود بلاد الأندلس فقط، بل تخطى الأمر حدود ذلك، إلى محاولات عديدة، نجح البعض منها في ضمّ أراضي جديدة إلى جسم الأمة الإسلامية، وأخفق البعض الآخر، كالذي حدث في فتوحات صقلية وبلاد البلقان ودول أوروبا الشرقية. إلاّ أنّ أشرس وأخطر وأعظم هذه الفتوحات، هي التي وقعت في قلب البلاد الأوربية، والتي استطاع بواسطتها المسلمون بسط سيطرتهم على مناطق جغرافية كبيرة، بل وأقاموا عليها دولة امتدت سنوات حكمها زهاء القرن الواحد.

وقصة فتح هذه المنطقة تعتبر من أغرب ما قيل في تاريخ الفتح الإسلامي للبلاد الغربية، إذ استطاع حفنة صغيرة من البحارة المغاربة والأندلسيين الشجعان –المغامرين–النزول على السواحل الجنوبية الفرنسية، ليبدو بعد ذلك مسيرة بناء وتأسيس أغرب دولة إسلامية في التاريخ، قُدِّر لها أن تظلَّ عشرات السنين دون أن يستطيع ملوكُ أوروبا القضاءَ عليها. وتُعرف هذه الدولة أو الإمارة بـ"إمارة فراكسينتوم"، ومقرُّها في فرنسا، أو دولة "جبل القلال" في المصادر العربية.

1: السّياق التّاريخي والاجتماعي للمرحلة:

عرف القرن الرّابع الهجري تغيرات سياسية عديدة، فأمام انتشار ظلم الولاة في بلاد المغرب الكبير، كان السّكان الأصليون على موعد مع ثورة ضدّ الخلافة الأموية وولاتها، ممّا نتج عنه غياب مُمتدّ، سيطرت الدّولة على هذا المجال الواسع المبني على الإخضاع. ثمّ توالى هذا الوضع مع مجيء الخلافة العباسية ومن بعدها الخلافة، الفاطمية. كما سيعرف الوضع الاجتماعي

تغيرات هامة بعد تطعيم المنطقة بالعنصر العربي في شمال إفريقيا، والأمازيغي العربي في شمال الأندلس وجنوب فرنسا. وهذا وصف عام للسّياق التّاريخي والاجتماعي للمرحلة:

أ- السياق التاريخي في بلاد المغرب وأوروبا (الأندلس):

عرف الوضع السّياسي في هذه المرحلة تغيّرات جذرية، كانت ممهدة لظهور عدة كيانات سياسية سواء في بلاد الأندلس أو المغرب أو أوروبا، وهذا وصف للأجواء السياسية السائدة في هذه المرحلة:

-الوضع السّياسي في بلاد المغرب:

اتسم الوضع في بلاد المغرب بالتمزق والتشتت، فأمام ظهور طائفة الخوارج في بلاد المغرب، سيبرز مع هذه الظاهرة عدة كيانات ستعمل على الاستقلال بالحكم انطلاقا من مبدأ أن الخوارج لا يشترطون على الإمام أن يكون قريشيا عربيا، وهذا ما وجده سكان المغرب مناسبا لوضعهم، فانتشر مذهب الخوارج في شماله إفريقيا، وكثرت الثورات على السلطة المركزية في دمشق وبعدها بغداد. وهذه إطلالة على أبرز الكيانات التي كانت موجودة في بلاد المغرب خلال هذه المرحلة:

- إمارة الأدارسة في بلاد المغرب:

بعد وفاة المولى إدريس الثاني، طرحت مشكلة ولاية العهد بين أبنائه، فقسّمت الدولة الإدريسية بينهم إلى مناطق نفوذ، وقد تولى ذلك الأمير محمد بن إدريس بأمر من جدته كنزة، فأعطى القاسم طنجة وما يليها، وأعطى عمر صنهاجة وغمارة والهبط، وأعطى داود هوارة ... وولى عيسى ويحيى وعبد الله بلادا أخرى [(1)]، بعد هذا القرار تطلع أخوه عيسى في الحكم، فنكث المواثيق، ورفض طاعة أخيه، فطلب العون من أخيه وسارع إلى نصرته هذا الأخير[(2)] ، وهكذا تفرقت البلاد على الإخوة المتصارعين، فنشبت الصراعات السياسية

بين أعضاء الأسرة الإدريسية الحاكمة، واستند كلّ فريق على عصبية قبيلة معينة لمحاربة الآخر، فظهرت بين القبائل المغربية مواجهات مسلحة، كان من أبرزها هجم قبائل غمارة وصنهاجة المقيمة بالريف على التجمعات القبلية على السواحل الأطلنطية والمناطق السهلية الأخرى. فتفاقمت الصراعات وتجزأت البلاد [3] وأُثيرت النّزاعات.

- **إمارات الشمال المغربي:**

كانت منطقة الشمال المغربي واقعة تحت نفوذ إمارتين، تتحكمان في مساحة مهمة من قبائل غمارة المصمودية وقبائل صنهاجة مفتاح، أمّا في الشمال الغربي وبالتحديد في مدينة سبتة والقبائل المحيطة بها، فقد كانت تحت سيطرة بني عاصم الغماريين، وقد نزل ماجكس بسبتة بعد أن كانت فارغة من الساكنة، ثم عمرها بعد أن نزل بها، وماجكس هذا من كبار غمارة، ووجوه قبائلهم، وبه سميت مجكسة، فبناها ورجع فيها الناس وأسلم وسمع من أهل زمانه إلى أن مات فقام بأمره ابنه عصام ووليها هرا ولما هلك قام بأمره ابنه مجير فلم يزل واليا عليها إلى أن هلك ووليها أخوه رضي، ويقال إنه ابنه وكانوا يعطون لبني إدريس طاعة مضعفة[4].

أما في الشمال الأوسط، فقد كانت تحت سيطرة إمارة بني صالح، تنسب هذه الإمارة إلى صالح الذي جاء أيام الفتح، وقد أقام صالح هنالك لما اقتطع أرضها من عبد الملك ابن مروان، وكثر نسله واجتمع إليه قبائل غمارة وصنهاجة مفتاح وأسلموا على يده وقاموا بأمره وملك تكسامان وانتشر الإسلام فيهم ثم ثقلت عليهم الشرائع والتكاليف وارتدوا وأخرجوا صالحا وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف بالرندي ثم تابوا وراجعوا الإسلام وراجعوا صالحا فأقام فيهم إلى أن هلك بتلمسان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وولي أمره من بعده ابنه المعتصم بن صالح وكان شهما شريف النفس كثير

العبادة وكان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه. وقد استمرت إمارته إلى أن جاء المرابطون وقضوا عليها بالكامل[5].

- **إمارات وسط المغرب:**

كان وسط المغرب مقسما بين إمارتين، إمارة بني مدرار في سجلماسة والصحراء الشرقية، وإمارة برغواطة وسط شرق المغرب، وقد استمرت إمارة بني مدرار إلى مجيء الفاطميين، ثم بادت، أما إمارة برغواطة التي قامت مع ثورة البربر على الحكم الأموي، فقد استمرت ثلاثة قرون إلى أن قامت الدولة المرابطية وقضت عليها بالكامل بعد حروب قوية، كانت نتيجتها مقتل الإمام عبد الله بن ياسين، وانقراض إمارة برغواطة التي جاءت بملة جديدة مختلطة المشارب. وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفا (الدار البيضاء الآن) وآسفي) [6] كما يقول ابن خلدون. وكان كبيرهم حين قامت ثورة ميسرة الخفير (سنة740م) هو أبو صالح طريف الذي عاد إلى تامسنا هو ورجاله بعد حملة الخارجية صوب الشرق، وبقي قائما بأمرهم على مذهب الصفرية. ولما مات أبو صالح طريف انتقلت الزعامة إلى ابنه صالح الذي كان في صحبته أثناء ثورة ميسرة (وكان من أهل العلم والخير فيهم، ثم انسلخ من آيات الله، وانتحل دعوى النبوة، وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده)..[7].

- **الوضع السّياسي في بلاد الأندلس:**

في هذه الفترة، كانت الخلافة الأموية في بلاد الأندلس في أزهى مراحلها، فقد تمكن الخلفاء الأمويون المتعاقبون من بسط سلطانهم على بلاد الأندلس، وتوجيه جهود نحو الشمال المغربي رغبة منهم في وقف الزحف الفاطمي على بلاد المغرب، لهذا قام عبد الرحمن الناصر بإعلان نفسه خليفة

حتى يجابه بذلك خلافة الشيعين بوصفه سنيا. وقد حاول الأمويون ما أمكنهم أن لا يتدخلوا بالقوة في المغرب حتى يكون لهم منه نصير على الفاطميين، ولم يكونوا يتأخرون عن كسب البربر بالمال والخلع كما فعلوا مع ولد حاميم الذي قتل أبوه في حروب الناصر(8).

- **الوضع السّياسي في أوروبا:**

كانت الفوضى تسود بلاد أوروبا في هذه المرحلة، فأمام التقدم الإسلامي المبهر على كل الأصعدة، كانت أوروبا تعيش حالة التشرذم والتقهقر الحضاري والفكري والاجتماعي، فكانت بذلك موزعة على عدّة إمارات متطاحنة فيما بينها، يغلب عليها طابع الفوضى والتسيب.

ب- الوضع الاجتماعي في بلاد المغرب والأندلس:

لحق التركيب الاجتماعي بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (8-9م) تغيرات أساسية، وبإجمال، فتح هذا التركيب المتنوع مجالات جديدة في تاريخ المنطقة وترتبت عنه انعكاسات اجتماعية وسياسية بعيدة المدى، وهذا تجريد لأهم العناصر المعروفة في هذه الفترة(9):

1: العنصر الأمازيغي: الذي يتكون من مجموعة كبيرة رئيسية، ومن أهمها: صنهاجة، زناتة، مصمودة، وأطلق الرومان على هذا المكون اسم البربر.

2: العنصر العربي: القادم من الشرق، كالذي استقر بالقرويين أو بالأندلس، وفاس ومراكش وسلا، وهو في مجموعة قليلة العدد، لأن التأثير الكبير للمجموعات الأمازيغية ظلّ أقوى وأشمل من غيره إلى حلول العنصر الموريسكي.

3:المجموعات اليهودية: على الرغم من انتمائها إلى المشرق أو الأندلس، إلاّ أنها ظلت وفية للمنطقة وتقاليدها، وساكنت المغاربة في البوادي والمدن.

4: العنصر الزنجي والعربي (الحراطين): وهو مزيج من عناصر زنجية وأخرى عربية وأمازيغية، انصهرت فيما بينها لتُكوِّن هذا العنصر.

5: العنصر القوطي: ذاب العنصر القوطي في المكون الأندلسي، ولم ير لهذا المكون حضورا على الساحة الأندلسية، والسّبب أنه اندمج اندماجا كليّا مع المكونات البربرية والعربية الوافدة، فتطبع بطباعها، وتعلم لغتها، وتعايش في ظل تغيراتها.

1: إضاءات عامة على منطقة فرخشنيط (Fraxinet) الفرنسية ورحلة تأسيس الدولة:

تعتبر رحلة تأسيس دولة القلال الإسلامية من طرف القراصنة المغاربة والأندلسيين–المجاهدين البحريين– من أغرب القصص على الإطلاق، إذ تمكنت هذه الفئة الصغيرة من بسط سيطرتها على المنطقة في ظرف قياسي، وأعقبوا هذه السيطرة بتأسيس كسان استمر زهاء القرن، وهذه إضاءة على رحلة هؤلاء المجاهدين، والمنطقة التي نزلوا بها:

أ: من المغامرة إلى تأسيس الدولة:

بدأت قصة دولة القلال الإسلامية مع مغامرة لبعض المغامرين الأبطال، الأندلسيين والمغاربة، حيث تمكنوا من النزول قبالة السواحل الفرنسية، في منطقة عرفت فيما بعد بـ: **فرخشنيط (Fraxinet)**، وبعدها لجأوا إلى الغابات الكثيفة، ومنها انطلقوا في استكشاف المنطقة تدريجيا، ويحكي صاحب كتاب " تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس" أنه : في عهد الأمير عبد الله (275 – 300 هـ) قام جماعة من المجاهدين الأندلسيين يقدرون بحوالي عشرين شخصاً

في عام 276 هـ، ونزلوا السّاحل الفرنسي، ولجأوا إلى غابة كثيفة، ثم سيطروا على المناطق المجاورة واستقروا بها، ودعوا إخوانهم من الثغور البحرية للقدوم إليهم، وأرسلوا في طلب العون والتأييد من حكومات المغرب"[10].

و"دولة جبل القلال دولة أسّسها المسلمون شمال مارسيليا، وامتدّت من ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوباً حتى سويسرا شمالاً، وقد ضمّت شمال إيطاليا وجنوب شرق فرنسا وأجزاء من سويسرا، ودامت أيامها من عام 277 للهجرة حتى 365 للهجرة (890 - 975 للميلاد). ظنّ ملوك أوروبا أنّ لهذه الدولة علاقة بالإمارة الإسلامية في الأندلس، والحقيقة أنها لم تكن على علاقة بها"[11].

وحسب محاضرة للأستاذ المصري عبد الرحمن بشير[12] ، فإن هوية هؤلاء المغامرين تعود إلى منطقتين، الأولى ترتبط بالأندلس، والثانية بالشمال المغربين وبالتحديد من منطقة غمارة، وقد عبر عن هذه القناعة انطلاقا من عدة مؤشرات منها:

- شجاعة هؤلاء الغماريين في واجهة الجيوش النصرانية؛
- اشتغالهم بالقرصنة في سواحل المتوسط؛
- وجود موانئ عرفت منذ القدم بالقرصنة (ترغة، تيجساس، سبتة...)؛
- استيطان مجموعة كبيرة من بربر غمارة في الشمال الأندلسي بعد الفتح الإسلامي؛
- مشاركة بربر غمارة الكثيفة في الجيوش التي عبرت لنصرة الأندلس؛
- العلاقة التجارية القديمة بين ضفتي جبال غمال وبلاد الأندلس؛
- تشابه المساكن التي بناها هؤلاء مع مساكن البربر الغماريين.

وقد نوه عدد من المؤرخين بدور قبيلة غمارة ومتطوعيها في جهادهم ضمن الجيوش النظامية وغير النظامية في الدفاع عن بلاد الأندلس، ويكفي وصف الحسن الوزان لأهالي جبل وادرس بالشجاعة والقوة المدهشة، إذ قال في هذا الصدد: وادراس، وهم –أي ساكنة جبل وادرس "قوم من ذوي الجرأة البالغة وقد قدموا على إقدامهم وجرأتهم براهين ساطعة أثناء الحروب التي وقعت بين ملوك غرناطة وملوك إسبانيا. ومن عادة هؤلاء الجبليين الذهاب إلى غرناطة متطوعين، وهم على قلتهم يعدلون من حيث القيمة جميع الجنود النظامين لهؤلاء الملوك"[13].

ب: موقع إمارة القلال الإسلامية:

انطلقت شرارة إمارة القلال الإسلامية من منطقة فرخشنيط، وهي عبارة عن حصن أسسه المسلمون المغاربة والأندلسيين القادمين من شمال المغرب وبلاد الأندلس سنة 889م، في الموقع الحالي لمدينة لاكارد فرنيه، التابعة لإقليم بروفنس ألب كوت دازور، بجنوب شرق فرنسا.

ويُمكن أن نوضّح بقايا مدينة فركيسناتوم الواقعة جنوب فرنسا، كما في الصّورة الآتية:

صورة رقم 1: بقايا حصن فركيسناتوم في الجنوب الفرنسي

ولقد اختلف المؤرخون في موقع فركيسناتوم التي شغلها المسلمون مدّة طويلة، فمؤرخو الفرنسيس يضعون فركسيناتوم في خليج سانترويز، وهو مكان في معبر بين فرنسا وإيطاليا وبقربه جبل بقال وجبل المورو. ومؤرخو الطليان يخالفونهم في تعيين هذا الموقع، فالمؤرخ بوتينو يضع فركسيناتزم في بروفنس بقرب آرال وهناك مؤرخ آخر اسمه موتمبريزيو يضعها وراء جبال الألب البحرية، ومنهم من جعل هذا المكان بقرب آرال وقالوا إنّ العرب نزلوا هناك وفي تفريجوسوأنطيب " التي جعلها العرب عين الطيب" وامتدوا إلى قصر نيسة "التي يقول لها العرب نيقة والفرنسيس يسمونها نيس" إلى مدينة سانريمو، ومنها امتدوا إلى مدينة البنغة[14].

3: مراحل السّيطرة على المنطقة وأهم المعارك التي حدثت فيها:

تعتبر دولة القلال الإسلامية في جنوب فرنسا من أغرب الدول الإسلامية؛ وذلك لأنها نشأت في قلب أوروبا، وكذا لأنها نشأت بظروف

عجيبة بدأت رحلتها بمغامرة، وانتهت بدولة، وهذه أهم المراحل التي قطعها المغامرون في تأسيس دولة القلال الإسلامية في جنوب فرنسا:

أ: استكشاف المنطقة وتثبيت الوجود:

لم يكن الأمر سهلا على بضعة مغامرين السيطرة على منطقة شاسعة من التراب الفرنسي الجنوبي، لهذا كانت أول خطوة قام بها المغامرون هي استكشاف المنطقة، ثم أغاروا على أقرب قرية من البحر وذبحوا أهلها وأخذوا يرودون في الجوار، ولما وصلوا إلى القمم التي كانت تشرف من جهة على البحر وتناوح من جهة أخرى جبال الألب، فهموا حالا ملائمة هذا المكان لاستقرارهم فيه، بثورة دائمة، فالبحر كان لهم بابا لتلقي الإمدادات التي قد يحتاجون إليها في بعض الأحيان، والبر كان بهم منفذا إلى النواحي التي يرومون الغارة عليها، والغابة المشتبكة تصلح معقلا يلجؤون إليها عند الاضطرار(15).

ب: استدعائهم للممدّ وبداية تأسيسهم للحصون:

بعد تيقن هؤلاء المغامرين من صلاحية الأراضي التي سيطروا عليها، حتى أرسلوا إلى الأندلس والشمال الإفريقي –المغرب–، يستمدون من إخوانهم الانضمام إليهم، وبدأوا هم بالعمل في مكانهم، فما مضت عدة سنوات حتى امتلأت الأرض بالحصون والمعاقل، وكان أهمّ تلك الحصون المسمى فركستناتوم، الذي يشتق من اسم الدردار الكثير في تلك الجهات. والمضنون أن قرية فركسيتناتوم كانت في القرية الحاضرة التي يقال لها "غاردفرينه" الواقعة في ذيل الجبل إلى جهة الألب. ومما يزيد من التأكيد على هذا الأمر أنها الطريق الوحيد من الخليج إلى الشمال(16).

ج: بداية توسعهم في المناطق المجاورة:

مباشرة بعد تأسيسهم لعدد من الحصون في المنطقة البحرية التي استقروا بها، وبعد استدعائهم لإخوانهم المغاربة من جبال غمارة وبلاد الأندلس، بدأ هؤلاء الشجعان "بشن غارات قوية في النواحي القريبة منهم، وصادف ذلك تلك المحاربات الداخلية التي كان حاميا وطيسها بين زعماء البلاد فصارت كل فئة تجتهد أن تجذبهم إلى نفسها، ثم عندما نمت شوكتهم عدوا أنفسهم سادة لتلك الأرض واستولى لرعب على قلوب الجميع من عاديتهم وأصبح لا يرتفع في وجههم رأس ولا ترتقي إلى مصارعتهم همة[17] ، وبعد استيعاب الأمر لدى المسلمين هناك، بدأت الخطوة الثانية، فجهزوا أنفسهم للتوسع خارج الحدود التي رسموها، ثم صاروا "يتقدمون يوما فيوما نحو جبال الألب تعلقا وتسلقا حتى وقفوا في أعلاها. وكانت مملكة آرال خاضعة للويس بن بوزون المتقدم الذكر. وكان لويس هذا صار بجيش إلى إيطاليا لمقاتلة ملك لو نباردية فترك بلاده بدون حامية تقريبا وصارت ثغوره عورة وكان النورمنديون يعيثون في قلب فرنسا وكادوا إحدى المرات على باريز. وجاءت فرقة من البرابرة من الشرق وهم المجر فعاثت وخربت جانبا من ألمانيا وأوشكت أن تدخل إلى فرنسا"[18].

من هنا بدأت دولة القلال الإسلامية في بسط سيطرتها على القرى والمدن القريبة منها، مستغلة صعوبة التضاريس واشتغال الدول المحيطة بالصراعات الداخلية بينها، والتي جاءت لصالحها، فزادت الغنائم وتطعمت خزينة الدولة وزادت رغبة التوسع لديهم.

د: مراحل توسع إمرتهم أهم المعارك التي قامت بها هذه الدولة:

مرّت هجمات ومعارك هؤلاء المستوطنين المسلمين بعدة مراحل، بدأت في البداية على شكل هجمات صغيرة، ثم ما لبثت أن تطورت إلى هجمات

منظّمة بعد أن لحق بهؤلاء المسلمين عدد لا يستهان به من المغاربة والأندلسيين والمرتزقة المحليين وممن اعتنقوا الإسلام، وهذه أبرز المعارك والمحطات التاريخية التي مرت بها دولة القلال الإسلامية:

– **في سنة 889م:** عشرون أندلسي أبحروا حتى خليج سان تروبيز وتأسيس مستعمرة فرخشنيط.وبعد الاستقرار في المنطقة " بدأ المسلمون في شنّ هجمات على كل الأماكن المجاورة، وأرسلوا رسائل إلى الأندلس لجلب المزيد من الرفاق، وأشادوا لهم بالمكان وطمأنوهم بأن السكان من أهل المنطقة لا حساب لهم، واستجاب لهذه الدعوة (عصابة) جديدة لا تقلّ عن مائة رجل، حيث وصلوا لاختبار صدق قصتهم "[19] " وسرعان ما طالت هجماتهم كلّ مكان . . . فقد كانوا في هجماتهم يبيدون كلّ البشر، ولا يتركوا ناجين لدرجة أن كل جيرانهم أصابهم الرعب[20] "

– **في سنة 906م:** اجتاز العرب مضايق دوفيني وقطعوا جبل سنيس حتى انتهو إلى دير نوفالير على حدود بييمونت، في وادي سوزة. وكان رهبان الدير قد تمكنوا من الفرار إلى مدينة توزينو ومعهم خائر القديسين وما في الدير من أشياء ثمينة، ومن جملتها خزانة كتب نفيسة فلما وصل العرب لم يجدوا في الدير إلا راهبين بقيا كحراس فيه، فنهب العرب الدير والقرية، واحرقوا الكنائس[21].

– **في سنة 331:** قام الإمبراطور البيزنطي بالتعاون مع هوجو ملك إيطاليا وبروفانس، حاولوا استرجاع قلعة جبل القلال عام 331 هـ، فهاجموها براً وبحراً، إلا أن الاضطرابات الداخلية في مملكة إيطاليا أجبرت هوجو على الانسحاب ومهادنة المسلمين فيها[22].

– **في سنة 331ه:** ظهر أسطول أندلسيٌّ كبيرٌ بقيادة محمد بن رماحس ومعه غالب بن عبد الرحمن وسهل بن أسيد خرج من ثغر المرية وغزا سواحل إفرنجة عام 331 هـ، إلاّ أن عاصفة هوجاء قذفت به بعيداً عن تلك السواحل. ويعتقد أنّ هذه العمليات البحرية التي قام بها الأسطول الأندلسي، كانت تهدف إلى معاونة قاعدة جبل القلال. وقد جرت مراسلات وسفارات طويلة بين حكومة الناصر بالأندلس وبين أوتو الأكبر إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة حول أمر هذه القاعدة. على أية حال فإن أمر هذه السفارة استمر إلى سنة 344 هـ، لحصول مشكلة دبلوماسية[23] ، ويُمكن توضيح مراحل امتداد وتوسّع المسلمين في الشّمال الشّرقي الأوروبي على النّحو الذّي تستجليه هذه الصّورة:

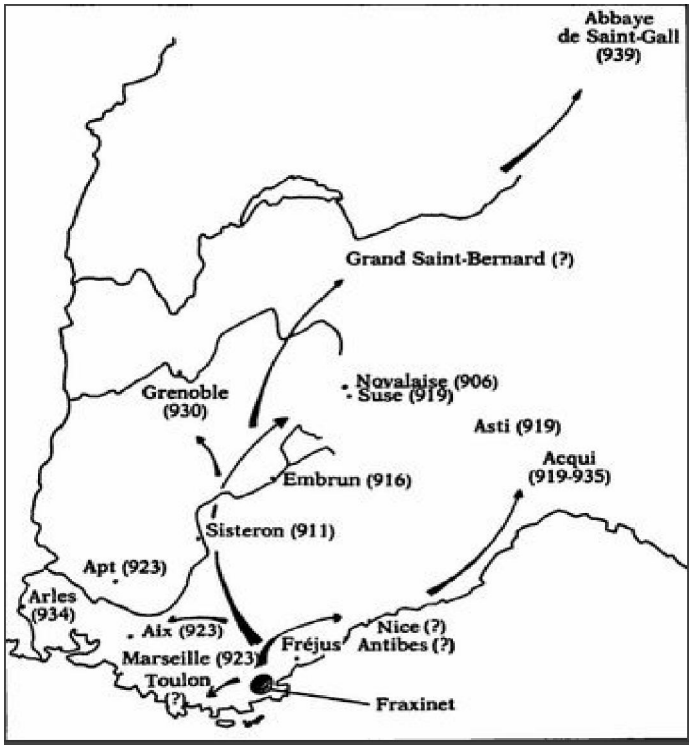

الصّورة رقم 2: خريطة لمراحل توسّع المسلمين في الشّمال والشّمال الشرقي الأوربي

ويُمكن تتبّع هذا الامتداد على النّحو الآتي:

- **في سنة 908م**: نزل بعد القراصنة العرب في سواحل لنفدوق بقرب ايغمورط ونهبوا دير الترتيل الذّي كانوا هدموه في زمن شارل مات ثم أعيد بناءه[24].

- **في سنة 911م**: وبعد أن احتل المسلمون جميع مضائق جبال الألب، صار مرور الناس عائدا إلى إذنهم، ثم إن رئيس أساقفة أربونة كان يريد السفر إلى روما لمهمة مستعجلة فلم يقدر على السفر خوفا من العرب. وكانوا لا يسمحون لأحد أن يمر بدون أن يأخذوا منه رسما معلوما. ثم شرعوا يشنون الغارات على سهول بييمونت ومنفرات[25].

- **بين 331 و335هـ**: وبعد اشتداد قوة دولة القلال الإسلامية، واستعار هجماتها على الإمارات المسيحية المحيطة بها، بعث الخليفة الناصر للسفير الأوروبي بأن حكومته ليست لها أية علاقة ولا أية سلطة على جبل القلال، وأنها لا تتحمل تبعة أعمالها. وبذلك أعطت خلافة قرطبة للسلطات الألمانية مطلق الحرية في اختيار السبل المناسبة لعلاج هذه المشكلة[26].

-**في سنة 906م**: عبر الأندلسيون ممر دوفينيومونت سينس.

- **في سنة 908م**: احتلال الأندلوسيونوادي سوسا.

- **في سنة 911م**: سيطروا على ممرات جبال الألب.

- **في سنة 929م**: تقدم قوات دولة القلال الإسلامية -فرخشنيط إلى حدود ليغوريا.

- **في سنة 935م**: مقتل سعيد في معركة أكوي.

- **في سنة 940م**: احتلال واستعمار تولون.

- **في سنة 942م**: الاستيطان فينيسوغرونوبل.

– **في سنة 970م**: إخلاء غرونوبل، سافواوغب.

– **في سنة 972م**: احتجاز القديس مايولو سعند ممرسانت برنارد الكبير.

– **في سنة 973م**: إخلاء فرخشنيط بعد معركة تور تور.

– **في سنة 1047م**: إغارة الأندلسيين على جزر رينس.

و: سقوط دولة القلال الإسلامية:

– **في سنة 364 هـ**:كانت إغارة مسلمي دولة القلال على ركب رجل دين من أكبر رجال عصره، القديس مايولوس، وكان يقود قافلة كبيره من الحجاج تعبر ممر سان برنار، من أكبر الأخطاء التي عجلت بسقوط الدولة، حيث أنّ العرب قاموا بمهاجمة القافلة وأخذوهم سبايا ونهبوا كلّ ممتلكاتهم. وتستفيض القصص في كرامات مايولوس، التي أهّلته ليرسّم قديسًا لاحقًا. ولم يطلقوا سراحهم حتى حصلوا على فدية كبيرة.

كان لهذه الحادثة أثرا كبيرا في نفوس الأوروبيين، ودفعت الملك وليام الأوّل حفيد هوجو من بروڤانس لحشد جيوش أوروبا والاتجاه لفرخشنيط. وتلاقي الجمعان في«**معركة تور تور**» والتي انهزم فيها جيش المسلمين واجتاحت القوات المدينة التي تحوّلت إلى ركام ولم يبق سوى آثار ضئيلة منها. واسترد الفرنجة حصن فراكستيوم (جبل القلال)[27] ، في سنة 364ه بعد معركة قوية انتصر فيها الأعداء كما أسلفنا.

ه: مجال سيطرة دولة القلال الإسلامية:

سيطرت إمارة دولة القلال الإسلامية على مناطق جغرافية مهمّة، ضمّت أجزاء كلّ فرنسا وسويسرا وإيطاليا، وقد تم التوسع في هذه المناطق على مراحل، تمكن فيها هؤلاء المحاربون من تعزيز دفاعتهم والسيطرة على

ممرات ومدن وقرى مهمّة استمروا في السيطرة عليها مدة طويلة، إلى أن قضت عليها جيوش أروبا بعد أن أحست بالخطر يقترب من أرضها، وهذا جرد لأهم المناطق المسيطرة عليها:

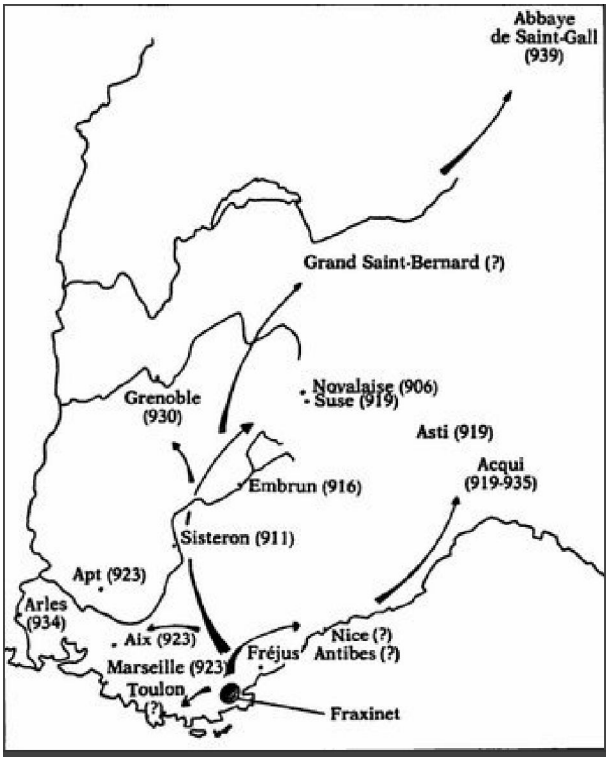

الصّورة رقم 3: توضّح أهم المناطق المُسيطر عليها

– **إيطاليا**:اجتاحوا إقليم البروفانس، وبصفة خاصة المنطقة التي تضم ما بين افنيونوآرل ومارسيليا غربا وإفريه Ivree"" في إيطاليا شرقا[28] ، هذه هي أهمّ المناطق المُسيطر عليها.

خاتمة:

وفي الأخير ننوّه إلى أنّ " **دولة القلال الإسلامية**" لم تحظ بأهمية كبرى في كتب التاريخ الإسلامي، ولم يذكرها المؤرخون العرب بشكل مفصّل بل تجاهلوها مع أنها تعتبر فتحًا إسلاميًا في بلاد الغال (فرنسا)؛ ربما لانشغالهم بتدوين الثّورات في الأندلس منذ دخول المسلمين فيها حتى خروجهم منها،

وانشغال الحكام بقمع الثورات المتتالية وكفاحهم للحفاظ على دولتهم، وربما اعتبروها حملة متواضعة مقارنة بحملات وفتوحات إسلامية أخرى أكثر أهميّة. إلاّ أنّها كانت محلّ اهتمام البعض الآخر من المؤرخين وأكثر من تحدّث عنها وبشكل تفصيلي هو «liudprand» رجل دين من إيطاليا قام بتدوين هذه الحملة وقت حدوثها في القرن 10، والتي اعتبرها بعض المؤرخين الأوروبيين غاره من غارات القراصنة.

الهوامش:

1- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، (ج1)، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2013، ص 220.

2- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، (ج1)، الصّفحة نفسها.

3- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، (ج1)، ص 221.

4- ابن خلدون، العبر، ابن خلدون، (ج6)، دار الفكر، ط4، بيروت، لبنان، 2000، ص 282.

5- ابن خلدون، العبر، ابن خلدون، (ج 6)، ص 283.

6- ابن خلدون، العبر، (ج6)، ص429، 428.

7- ابن خلدون، العبر، (ج6)، ص 429، 428.

8 -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، (ج1)، دار الرّشاد الحديثة، ط1، الدّار البيضاء، 2000، ص106.

9- المرجع نفسه، (ج1)، ص237.

10- مجموعة من الأساتذة (خليل إبراهيم السامراني، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (ج1)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص 141.

11- محمود شاكر شاكر الحرستاني أبو أسامة، التاريخ الإسلامي، المجلّد السّادس، المكتب الإسلامي، ط6، 2000، د ب، صفحة 163.

12- أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة – رئيس قسم التاريخ – كلية الآداب جامعة الزقازيق - مصر

13- الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، (ج2)، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص327.

14– ينظر: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، لبنان، د ت، ص: 161.

15 –الأمير شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، ص 161.

16- شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 161، 162، 163.

17– شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 167.

18- المرجع نفسه، ص 167.

19- Liudprand**, the work of Liudprand** ,p33,34

20- Liudprand,**the work of Liudprand**,p34

21– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

22– مجموعة من الأساتذة (خليل إبراهيم السامراني، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (ج1)، ص 411.

23– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

24 –شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص: 167.

25– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

26– مجموعة من الأساتذة (خليل إبراهيم السامراني، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (ج1)، ص 412.

27– المرجع نفسه، ص 413.

28 -Ganshof," notes sur les ports de provence", op.cit,p35